Pegem Journal of Education and Instruction, Vol. 15, No. 4 , 2025 (pp. 727-737)

RESEARCH ARTICLE WWW.PEGEGOG.NET

The Confluence of Creativity and Technology in Arabic Literature

Dr. Ismahane Amal Ouahchi [1]

[1:] Lounisi Ali University Blida 02 / Algeria, Literary and Critical Studies Laboratory, ia.ouahchi@univ-blida2.dz

Abstract:

This intervention aims to present the concept (essence/nature) of interactive (digital) literature, and its most important characteristics in comparison to written (paper-based) literature, especially with the tremendous development occurring today and the acceleration of time; which hinders the individual and diverts them from literary research and reading in the old, traditional way, requiring them to keep pace with the era and everything that can facilitate the research process for them. In the past, the researcher would immerse themselves in books and indexes for days and nights, and this might extend to months and years. Along the way, they would draw from this and that and memorize what could be memorized despite not needing it; which causes their cognitive repertoire to expand day after day. However, the problem does not lie in all of this, but rather in the fact that today's human is not yesterday's human. The human memory today suffers severely from weakness due to the accelerating development that has left the researcher unable to keep up with all this enormous and diverse momentum; especially after the world has become **a single** spot due to the Internet and various social networking sites.

Keywords: Paper-based, Interactive, Digital, Digitization, Attachment, Interconnection, Ramification**.**

التزاوج بين الابداع والتكنولوجيا في الأدب العربي

د. اسمهان أمال وحشي [1]

[1:] جامعة لونيسى علي، البليدة 02 / الجزائر،

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية،

ia.ouahchi@univ-blida2.dz

Corresponding Author e-mail: ia.ouahchi@univ-blida2.dz

How to cite this article: Dr. Ismahane Amal Ouahchi 1. The Confluence of Creativity and Technology in Arabic Literature. Pegem Journal of Education and Instruction, Vol. 15, No. 4, 2025, 727-737

Source of support: Nil
Conflicts of Interest: None.
DOI:
10.47750/pegegog.15.04.55
Received: 01.01.2025
Accepted: 08.03.2025 **Published:** 15.05.2025

الملخص:

تهدف هذه المداخلة إلى عرض ماهية الأدب التفاعلي (الرقمي)، وأهم خصائصه مقارنة بالأدب الكتابي (الورقي)، خاصة مع التطور الهائل الحاصل اليوم وتسارع الوقت؛ مما يعيق الإنسان ويصرفه عن البحث والاطلاع الأدبي بالطريقة القديمة والتقليدية، ويتطلب منه مواكبة العصر وكل ما يمكنه أن يسهل عليه عملية البحث، حيث كان الباحث قديما ينغمس في الكتب والفهارس أياما وليال، وقد يتعدى ذلك إلى أشهر وسنوات وفي طريقه نجده ينهل من هذا وذاك

ويحفظ ما يمكن حفظه على الرغم من عدم حاجته إليه؛ الأمر الذي يجعل من رصيده المعرفي يتسع يوم عن الآخر؛ لكن الإشكال لا يكمن في هذا كله إنما يكمن في كون إنسان اليوم غير إنسان الأمس، فالذاكرة الإنسانية اليوم تعاني وبقوة الضعف من جراء التطور المتسارع الذي جعل الباحث في عجز عن مواكبة كل هذا الزخم الهائل والمتنوع؛ خاصة بعد أن أصبح العالم بقعة واحدة بفعل شبكة الأنترنت ومواقع التواصل المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الورقي، التفاعلي، الرقمية، الرقمنة، التعلق، الترابط، التشعب.

مقدمة:

يشهد الأدب مؤخرا بوصفه مرآة عاكسة لواقع المجتمعات وتطلعاتها، حراكاً نوعياً مستمراً ومتجدداً، ينتقل به من عصر إلى آخر، متأثراً بالتحولات الحضارية والثقافية والتقنية التي تطبع كل مرحلة تاريخية. هذا الحراك لا يقتصر على المضامين والأفكار، بل يمتد ليشمل الأشكال والأساليب، فيصطبغ الأدب في كل حقبة بصيغة مميزة واسم جديد يعكسان طبيعة التجارب المستحدثة في ممارسات الكتابة والتلقي. إن مسيرة الأدب عبر التاريخ هي في جوهرها، قصة تطور في الوسائط والأدوات التي تتجدد يوماً بعد يوم، محفزة بدورها تجديداً في أساليب التعبير الأدبي وأنماطه.

فمنذ فجر الحضارات كان لاختراع ورق البردي، على سبيل المثال، دور محوري في نقل المعارف والآداب من طور المشافهة، حيث الذاكرة هي الوعاء الأساسي، إلى طور التدوين، حيث يصبح النص المكتوب شاهداً ثابتاً وقابلاً للانتقال عبر الزمان والمكان. هذا الانتقال لم يكن مجرد تغيير في الوسيط، بل كان تحولاً عميقاً في طبيعة الإنتاج الأدبي وفي آليات حفظه ونقله. وفي مرحلة لاحقة، عملت الطباعة، كثورة تقنية كبرى، على إحداث نقلة نوعية أخرى، تمثلت في ظهور الكتاب بشكله المألوف، مما أتاح انتشاراً أوسع للمعرفة والنصوص الأدبية، وأعطى تتابعاً وديمومة واستمرارية لفعل القراءة، مؤسساً بذلك لجمهور قرائي أوسع نطاقاً.

واليوم، في خضم الثورة الرقمية والمعلوماتية، تسهم التكنولوجيا الحديثة وشبكة الإنترنت بشكل فاعل ومتسارع في إحداث تحول جذري آخر، ينقل النص الأدبي من شكله الورقي التقليدي، الذي ألفناه لقرون، إلى شكل جديد، هو الشكل الرقمي. هذا الشكل الجديد لا يتميز فقط بكونه يعرض على شاشة إلكترونية، بل يرتكز بشكل أساسي على مفهوم "التفاعل"، الذي يغير من طبيعة العلاقة بين النص والقارئ، ويفتح آفاقاً غير مسبوقة للإبداع والتلقي. هذا التزاوج الخصب بين الأدب والتكنولوجيا لم يكن مجرد نقل لمحتوى قديم إلى وعاء جديد، بل أدى إلى ولادة فعلية لأدب جديد، هو الأدب الرقمي التفاعلي، الذي يمتلك خصائصه الجمالية والتعبيرية المتميزة.

إن ظهور هذا النوع الأدبي الوليد قد صاحبه، كما هو الحال مع كل ظاهرة جديدة، بروز عدد كبير من المفاهيم والمصطلحات النقدية التي تتسم أحياناً بالاضطراب والاختلاف، نظراً لحداثة التجربة وحاجتها إلى المزيد من التنظير والتحليل النقدي. لذا، يصبح من الضروري، وقبل الخوض في استجلاء ماهية هذا الأدب الجديد وخصائصه، أن يتم توضيح هذه المفاهيم والمصطلحات التأسيسية، وفك الاشتباك القائم بينها. من هذه المفاهيم التي تستدعي التحديد والتمييز: الفرق الجوهري بين "الرقمية" كصفة للوسيط، و"الرقمنة" كعملية تحويل من شكل إلى آخر؛ ومفهوم "التعلق النصي (Hyperlinking) "كآلية أساسية في بناء النصوص الرقمية، وصلته العضوية بمفهوم "الترابط النصي (Intertextuality) "بمعناه الواسع، وبمفهوم "النص المترابط (Hypertext) "كبنية شبكية للنص. كما تبرز

مصطلحات أخرى مثل "الأدب الافتراضي" الذي يشير إلى بيئة وجود هذا الأدب، و"النص التشعبي" كترجمة أخرى لمفهوم الـHypertext ، ومفهوم "اللعب بالنص" الذي يعكس الطبيعة التفاعلية والمشاركة الفعالة للقارئ.

وفي خضم هذا التعدد المصطلحي، يبرز تساؤل هام حول الأسباب التي منحت مصطلح "الأدب التفاعلي" مشروعية وقبولاً أوسع في الأوساط النقدية، مقارنة بمصطلحات أخرى مقترحة مثل "الأدب الإلكتروني" الذي قد يركز بشكل أكبر على طبيعة الوسيط، أو "الأدب التكنولوجي" الذي قد يعمم بشكل لا يميز خصوصية هذا النوع الأدبي. إن التركيز على "التفاعل" يبدو أنه يمس جوهر السمة المميزة لهذا الأدب، والتي تتجلى في العلاقة الديناميكية وغير الخطية بين القارئ والنص، وفي الإمكانيات المتعددة التي يتيحها الوسيط الرقمي لإنتاج معانٍ وتجارب قرائية متجددة ومتفردة.

1. اضطراب المصطلح في الغرب:

شاع في البحوث والدراسات الغربية الأدب الإلكتروني، أو الأدب الرقمي، ويدل على النص الذي أخذ حيزا على صفحة الإنترنت من جهة، وعلى النص المترابط أو التشعبي من جهة أخرى، وهو ما يبدو واضحا وجليا من خلال قصائد الشاعر روبرت كندل في صفحة على الإنترنت، وظاهر أيضا في أطروحة راني كوسكيما الموسومة بـ"الأدب الرقمي: من النص إلى النص التشعبي والما وراء"(1).

ففي أمريكا يتم استعمال مصطلح (النص المترابط hypertext) وفي أوروبا يتم توظيف مصطلح الرقمي numerique والتفاعلي interactif، أما في الفرنسية ابتدئ باستعمال مصطلح الأدب المعلوماتي informatique باعتباره الجامع لمختلف الممارسات التي تحققت من خلال علاقة الأدب بالحاسوب والمعلوماتيات حيث تم عقد مؤتمر بباريس عام 1994 تحت عنوان (الأدب والمعلومات) لدراسة هذه العلاقة ليظهر فيما بعد وبالضبط سنة2006 مصطلح جديد بعنوان الأدب الرقمي litterature numerique (2).

وهذا الخلط والاضطراب بين المصطلحات الدالة على الأدب التفاعلي في الغرب نابع من الحداثة النسبية ويؤكد صعوبة استقرار المعنى حول هذا النمط في تقديم النص الأدبي. وما يلاحظ هو تغييب القنوات الأخرى، كالمقال مثلاً؛ لأن فكرة النص التشعبي في المقال مألوفة للقارئ، وهي أكثر صلة بالناقد، وفكرة التفاعل مع المقال شائعة في الصحف اليومية حيث يُطلب من القارئ كتابة تعليق على ما قرأ؛ لذلك كان الشكل الصادم هو تعالق التقنية بالنص الإبداعي البحت كالشعر والرواية(3).

2.اضطراب المصطلح في الشرق:

هذا الاضطراب في الغرب وإشكالية المصطلح انتقل إلينا في الشرق، ولكن بتعقيد أكبر؛ فالمسألة لم تعد متعلقة بطبيعة هذا النمط من الأدب، بل بترجمة المصطلحات أيضا، وعلى الرغم من الجهود المتميزة التي بذلتها الناقدة الرائدة في هذا المجال: فاطمة البريكي، فإن الفروق الدقيقة بين المصطلحات: الأدب الرقمي، الأدب التكنولوجي، الأدب الإلكتروني.. ليست ذات شأن؛ فمصطلح "الأدب التفاعلي" ينبغي أن يبتلع هذه المصطلحات جميعها، ما عدا تلك التي قُدمت على الإنترنت، وفي الوقت نفسه، نستطيع تقديمها على الورق دون أن يحدث أي خلل فيها؛ ليصبح مدى تحقق التفاعل هو المعيار الذي نحتكم إليه في نقد العمل. وهنا، ينبغي، أيضًا، أن يحل مصطلح "التناص" المتعارف عليه في النقد الأدبي Intertextuality مكان مصطلح "النص التشعبي" Hypertext، ليغدو

ما وظفه الشاعر عبر التشعب من نصوص مكتوبة، أو مقطوعات صوتية، أو مؤثرات ضوئية.. غيرَ منفصلٍ عن بنية العمل. أما وصف الجنس الأدبي بالترابط أو التشعُّب، كأن نستخدم "القصة المترابطة" Hyperfiction مصطلحًا وحيدًا ليدل على القصة، في مقابل إسقاط استخدام "القصة التفاعلية" Interactive fiction، فهو مجانب للدقة؛ لأن الترابط أو التشعُّب جزء من القصة التفاعلية، وليس بالضرورة أن تكون مقتصرة عليه، أو بتعبير ثان: هو التناص فيها.

3.الفرق بين الرقمية والرقمنة:

لقد تنوعت حوامل النص عبر الزمن كما ذكرنا سابقا بداية من النقش على الحجارة مرورا بالرقع الجلدية أو أوراق الأشجار إلى الدفاتر ثم الآلة الكاتبة وآلات الطباعة وأخيرا المعالجة الإلكترونية للنصوص؛ فبعد أن كان الكاتب مبدعا أصبح مهندسا وخطاطا فنيا صانعا للنص بأبعاده الثلاثية مما يشبه صناعة السينما، وبين هذا النص المنتج والنص المرسل إلينا بواسطة التكنولوجيا نوع من الحركة والتفاعلية**(5)**.

تعد **الرقمية** صناعة للنصوص؛ بحيث تعطي للنص نوع من الإنتاجية والاستمرارية اللامتناهية من خلال التفاعل القائم بين خباياه ومتلقيه، بينما تعتبر **الرقمنة** تحويل المعلومات من متونها الورقية إلى صيغ إلكترونية**(6)**.

وخلاصة القول أن الأولى تجعل من النص قاعدة يشيد عليها مبدعون هندسات متنوعة يهدمها المتلقي ويبنيها كما يريد، في حين أن الثانية تعمل على المحافظة على طبيعة النص وتحميه من العوامل الخارجية، وتسهم في انتشاره وزيادة مقروئيته. وهكذا يظل النص الأدبي يتمرجح بين الورق والرقمية والرقمنة في ظل العولمة والتكنولوجيا**(7)**.

4.التعلق النصي:

أشار سعيد يقطين إلى السبب الذي أدى به إلى العناية بهذا النوع دون غيره قائلا: "ويهمنا من هذه الأنواع جميعا الوقوف على النوع الأخير (أي التعلق النصي) لأني أريد النظر في هذا المفهوم من زاوية اتصاله بالإعلاميات ونعيد النظر فيه في ضوء الانفتاح على المستجدات النصية في اتصالها بالإعلاميات ونعاين كيفية استفادة نظرية التفاعل النصي من الإنجازات التي تتحقق في هذا المجال وبذلك نعطي لنظرية النص والتفاعل النصي كل الاحتمالات الممكنة للتطور والتبلور في ثقافتنا العربية الحديثة" **(8)**.

تم التركيز على مفهوم التعلق النصي من حيث اتصاله بالمعلوماتيات لإيضاح الجانب النظري لهذا المفهوم.

كما وضح جنيت في دراسته "المتعاليات النصية" مفهوم التعلق النصي باعتباره ارتباط نص لاحق (Hypertexte) بنص سابق (Hypotexte) ارتباطا أو تعلقا يجعل من النص السابق نموذجا يحتذي به وينسج على منواله، أو يتعلق به قصد معارضته، أو تحويله.

أما سعيد يقطين فقد ميز بين التفاعل النصي الذي يتعلق فيه النص مع نص آخر معين، وبين التفاعل الذي يقيم فيه النص علاقات مع نصوص عديدة مع ما يوجد بينها من اختلاف على صعيد الجنس والنوع والنمط. جاعلا التعلق النصي نوعا خاصا من أنواع التفاعل النصي لأنه يكون بين نصين محددين سابق ولاحق، مهتما أكثر بالإيحاءات التي يحفل بها فعل التعلق، ذلك أن كل نص لاحق يمتلك نصه السابق.

5.الترابط النصي:

لمح سعيد يقطين إلى أن التفاعل النصي والترابط النصي مفهوم إعلامي بحت؛ بحيث كان يستخدم بمعنى آخر في المعلوميات، قبل أن يعمل جنيت عليه سنة 1982. و هذا لا يلغي التشارك أو ارتباط نص بآخر، كما لا يلغي عكس ذلك، لأن الترابط النصي جعل من فضاء النص منفتحا تعبره عدة أشكال وأصوات وأنواع، كما أضحت خاصيته الأساسية التفاعل.

ومما سبق يمكن التعرف على نقاط الاختلاف بين التعلق النصي والترابط النصي:

– يعد التعلق النصي علاقة خارج نصية؛ لأنه يربط بين نصين أحدهما سابق والآخر لاحق.

–بينما يعتبر الترابط النصي علاقة داخل نصية، فهو خاص بالنص الإلكتروني.

وكلا النصين يرتبطان ببعضهما من خلال التفاعل النصي "بوصفه مفهوما جامعا يتسع لمختلف العلاقات بين النصوص، سواء كانت لفظية أو غير لفظية، وسواء قدمت شفاها أو كتابة أو إلكترونيا"**(9)**.

إن الإلمام بالجانب النظري للترابط النصي يفرض علينا التفريق بين الترابط النصي والنص المترابط.

5.الترابط النصي والنص المترابط:

"الترابط النصي" إجراء معلوماتي يسمح بربط كلمة بأخرى، أو فقرة أو أيقونة أو صورة بغيرها. كما يتيح للمستعمل إمكانية اختيار مساره داخل نص أو وثيقة معينة بمجرد نقره على مؤشر الفأرة على الكلمة التي تهمه، فينتقل مباشرة إلى الجزء المرتبط بها فيؤسس بالتالي مساره القرائي الخاص.

أما "النص المترابط" فهو نص افتراضي، محتمل، لا يأخذ شكله الواقعي إلا من خلال نشاط القارئ، مما يجعل منه نصا تفاعليا لأن التواصل أصبح يتطلب التشارك، فالحركة أصبحت تتجه من النص إلى القارئ وبالعكس، خلافا لما كان عليه الأمر مع النص الذي كان يمارس سلطة كبيرة على القراءة، لأنه لم يكن بمقدور القارئ التحرر من التتابع الذي تفرضه خطية الكتاب. لكنه مع النص المترابط أصبح بوسعه القفز على أجزاء ومشاهد ويتجه مباشرة إلى ما يهمه**(10)**.

6.الأدب الافتراضي:

إن الأدب بحكم كونه إبداعًا يتوسل بالكلمة للولوج إلى الخيال، ذو طبيعة افتراضية؛ أي لا تتصل بالواقع إلا لتفارقه، ولو ظلَّت فيه لتحول النص إلى وثيقة تاريخية، تسقط عنه السمات المختصة بالإبداع. وقد حاول أن يعبر عن هذا الاتصال والانفصال معًا في الأعمال الإبداعية التي تدخل الوسائط المتعددة في بنائها، في الغرب: مايكل هايم Michael Heim (كتاب: فلسفة الواقع الافتراضي،1998)، وفي الشرق: محمد سناجلة (كتاب: رواية الواقعية الافتراضية، 2004)، بمصطلح "الواقع الافتراضي" Virtual Reality. والحقيقة أن المصطلحات ليست جامدة، وطرحها في الفترات المبكرة لدخول الإنترنت في تشكيل الحراك الثقافي، لا يعني أنها لن تتعرض للإزاحة والتعديل؛ فالتطورات المتسارعة في عالم التكنولوجيا، جعلت الأدب الافتراضي يُطلق على ما يتشكل في وسط افتراضي يستخدم التكنولوجيا، كما هو الحال في الأدب الموجود في مواقع التواصل الاجتماعي حيث المجتمعات الافتراضية. وتأسيسًا على هذا، فإن روايات "ظلال الواحد"، و"شات"، و"صقيع" لمحمد سناجلة هي ضمن معنى "الرواية التفاعلية"، وليست ضمن معنى "الواقعية الافتراضية". وما يُكتب من أدب في مواقع التواصل الاجتماعي هو ضمن "الأدب الافتراضي"؛ لأن منتج النص ينحدر من هذه المجتمعات، وكذلك قارئ النص(11).

ما يمكن تأكيده في النهاية، أن ما يشيع على ألسنة الناس بمعنى الأدب الرقمي، والأدب الإلكتروني، هما شيء واحد، هذا من ناحية أولى، ولكن الأدب الترابطي، والأدب التفاعلي، والأدب الافتراضي، مصطلحات مختلفة، ولا يمكن استخدامها مترادفة، هذا من ناحية ثانية. وأما هيمنة مصطلح "الأدب الرقمي التفاعلي" على غيره من المصطلحات، فقد لا يعني عدم اتضاح معناه لدى المبدعين أو النقاد، بل يعود إلى الأسبقية في الظهور، والتصاقه بالبرمجة، حتى وإن تطورت من (01) إلى (02)؛ فإنها تبقى رقمية(12).

7.الأدب الكتابي (الورقي) والأدب التفاعلي (الرقمي):

إذا كان **الأدب الكتابي** هو ذلك الأدب الذي يقوم ويتركز على الكتابة كشرط أساسي في بنائه، حيث يصبح كل من الخط وعلامات الترقيم والمساحات السوداء والفراغات البيضاء عناصر ذات دلالة، ويفقد النص شيء من دلالته إذا تم تلقيه صوتيا فقط.

فإن **الأدب التفاعلي** هو ذلك الأدب الذي تولد عن تزاوج الأدب مع التكنولوجية الحديثة، ولا يمكن أن يكون في متناول متلقيه إلا من خلال وسيط إلكتروني، وقد عرفه سعيد يقطين "بأنه مجموع الإبداعات (الأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي"(13).

أما عن خصوصيات هذا الأدب فقد اتضحت أكثر مع الباحثة فاطمة البريكي فيما يأتي(14):

_ يعد الأدب التفاعلي نصا مفتوحا بدون حدود وبلا عشوائية؛ بحيث يلقي المبدع إنتاجه في أحد مواقع الشبكة العنكبوتية.

_ إدراك المتلقي لأهميته مع الأدب التفاعلي على الشبكة، ودوره في بناء العمل الإبداعي.

_ للمتلقي حرية اختيار نقطة البدء، بحيث يبني المبدع النص على أساس تعدد المسارات؛ أي ليس له بداية واحدة ولا نهاية واحدة.

وبالتالي اشتراك أكثر من مبدع في إنتاج النص، ولا يُسمى الأدب تفاعليًا إلا إذا كان الوسيط الناقل لهذا الأدب إلكترونيًا، سواء باستخدام البرامج الجاهزة على الحاسوب، أو بالكتابة مباشرة على الإنترنت. وبدخول عصر الوسائط المتعددة، بات ما سبق الحديث عنه، الآن، أحد أشكال الأدب التفاعلي، والتي منها: الرواية التفاعلية التي تشترك الكلمة فيها مع الوسائط المتعددة في تشكيل المعنى، والأدب السمعي البصري الذي يُقدم عبر الفيديو بتسمية Digital poem، كما هو الحال في قصائد الشاعر الأمريكي م دي نورمان M.D.Norman، وقصائد الشاعر المغربي منعم الأزرق على "اليوتيوب" YouTube، وهذا ما يجعل المحك الرئيس في تمييز الأدب التفاعلي من الأدب الرقمي هو استحالة تحول المحتوى إلى الورق. إن مجموعة الشاعر مشتاق عباس معن "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق"، على سبيل المثال، تنتمي إلى الأدب التفاعلي، على الرغم من عدم ترك مساحة للقارئ ليكتب فيها؛ لأنه استخدم النص المتشعب حيث حضرت في بنيتها عناصر متضافرة في تشكيل المعنى، منها: الكلمة، والصورة، والصوت، واللون، والحركة، بحيث يستحيل أن يتحول العمل إلى الورق(15).

ولهذا، نشأ في السنوات الأخيرة، في قطاع التعليم بخاصة، ما يسمى "الكتاب التفاعلي" Interactive Book، وهو يختلف اختلافًا كليًا عن الإلكتروني أو الرقمي الذي جرى تحويله إلى صيغة (PDF)، كما سبقت الإشارة. وتقوم فكرته على تضافر العناصر السابقة، إضافة إلى الفيديو، وميزة الكتابة في المساحات المحددة لها، وإمكانية

وضع الشروحات والتوضيحات بما يضفي على القراءة متعة وحيوية وتحرر من الإمكانات المحدودة في الكتاب الورقي. وهذه العناصر المضفاة، أخرجت الكتاب عن اقتصاره على الكلمة، وفي أحسن الأحوال: عن الكلمة والصورة الثابتة، إلى أفق أرحب يستحيل أن ينهض به الورق. ونشأ في قطاع التعليم، أيضًا، ما يُسمى "السبورة التفاعلية" Interactive Board، وعلى الرغم من وجود مصطلحات أخرى تنافسها، مثل: السبورة الذكية، فإن اتصالها بالإنترنت، ليتحول إلى شاشة حاسوب كبيرة، إضافة إلى ميزات أخرى، مثل: الكتابة الإلكترونية، وتصويبها، ومحوها، يعني أنها تؤدي وظائف يستحيل أن يؤديها الورق أو ما يقترب منه؛ لينهض بحمل الكلمة المكتوبة وحدها(16).

8.التناص التفاعلي:

من المؤكد أن العمل بهذه الصورة سيفرض على الناقد التمييز بين نمطين من التناص، **الأول:** التناص النصي، وهو ما نستطيع الكشف عنه في النص الذي كتبه المؤلف. و**الثاني:** التناص التقني، وهو ما نستطيع تتبعه عبر الترابط مع الوسائط الأخرى التي قد تكون أغنية بالفيديو أو الأوديو، أو قد تكون مقطعًا من قصيدة مكتوبة أو مُلقاة بصوت الشاعر.. في كلا النمطين، نحن أمام تناص أعطى عمقًا وثراءً غير مسبوق للمعنى(17).

9.هوية الأدب التفاعلي:

يضع هذا النمط من الأدب هويةَ العمل على المحك؛ فليس كل عمل تفاعلي ينتمي للأدب. وما يفرض الأدبية هو البناء بالكلمة عالمًا من الشعر أو النثر، ولا قيمة، هنا، للتقنية التي يتضمنها العمل إنْ لم يكن مبنيًّا على الكلمة. أما تحديد القناة التي تمر عبرها الكلمة المبنية، فما زال واضحًا جنسويًّا؛ إذ يمكن، على سبيل المثال، تمييز الشعر من الرواية على الرغم من أن هذا النمط من الأدب ألغى الفواصل التي تحجز الأجناس الأدبية عن بعضها، وحاول أن يستقطب فيه منتج العمل كل ما يستطيع أن يجعل العمل خصبًا(18).

من الصعب القول: إن هذا الاستقطاب أدى إلى خروج العمل عن كونه منتميًا لجنس الرواية، مثلاً، فالتداخل بين الأجناس في العمل الإبداعي يعمل لصالح خصوبته، بل إنه يحفظ قابليته للبقاء في المستقبل أطول فترة ممكنة؛ فالشكل الروائي، كما يقول الناقد موريس بلانشو Maurice Blanchot، "ربما لا يعيش إلا على تغيراته وانحرافاته"، وهذه التغيرات أو الانحرافات، ينبغي أن تترك ملامح في العمل المنتَج تميزه جنسويًّا، وهي الملامح الجوهرية التي تخص الرواية، ومن أجل ذلك، يقول الناقد تودوروف Todorov مؤكدًا ما ذهب إليه بلانشو، وفي الوقت نفسه، مؤكدًا ضرورة بقاء تلك الملامح الجوهرية: "يكاد يكون من اللازم حدوث خرق Transgression جزئي للجنس، وإلا فسيفقد الأثر الأدبي الحد الأدنى من أصالته الضرورية (..) ولا ينال هذا الخرق لقواعد الجنس بشكل عميق من النسق الأدبي". فما يُبقي الرواية التفاعلية تنتمي إلى جنس الرواية هو وجود النص المكتوب الذي تتوافر فيه الملامح الجوهرية أولاً، ووجود الوسائط التقنية المتلاحمة مع النص، بصورة تعمل فيها كل مكونات البنية الروائية معًا، فتغدو الروابط أو التشعبات ليست سوى تناص مع النص ثانيًا، وتُشرك المتلقي في التفاعل معها ثالثًا(19).

قد تكون مساحة التقنية الموظفة عبر الروابط أو التشعبات في النص، أو التقديم له مطوَّلة، أو تستغرق زمنًا أكثر بكثير مما يُتاح له، ولكن هذا لا يخرجه من الانتماء إلى جنس الرواية. وقد يكون النص خاليًا من المساحة المخصصة للتفاعل من خلال الكتابة، وهذا لا يُسقط عنه كلمة "التفاعلية"؛ لأن منتج العمل يكون قد اختار وسيلة أخرى للتفاعل، مثل: ترك المتلقي يختار سير الأحداث، أو يختار النهاية التي يريدها أن تكون ملبية لرغباته، وإن كانت هذه التفاعلية تبلغ أوجها من خلال استغلال كل الأساليب المتوافرة من أجل تفعيل دور المتلقي في العمل(20).

10.البحث عن الجذور:

هناك ضرورة ماسة للبحث عن جذور لهذا "الأدب التفاعلي"، نتتبع فيه توق الإنسان للتفاعل مع الآخرين عبر الكتابة، والرسم، والصوت.. منذ حركة الإنسان البدائي للتعبير عن نفسه إلى العصر الحديث، وربط ثقافتنا في الشرق بالتأثر والتأثير في الغرب، من زاوية العيش المشترك على الأرض، وأن التأثر ليس شرطًا أن يكون نقلاً عن الآخر بالحرفية المألوفة لنا(21).

إضافة إلى ذلك، فإن تقبُّل المتلقي للأدب التفاعلي، والتعامل معه بجدية، وتأسيس نقد تفاعلي مبني على العمل نفسه.. لن يكون بالخطاب المتعسف الذي يربط فيه بعض المتحمسين لهذا الأدب بين التخلف والجهل، من جهة أولى، وعدم الخوض في كتابته أو نقده أو تلقيه، من جهة ثانية؛ ففي الغرب الذي نشأ فيه هذا الأدب، ليست هناك موجة عاتية للاتجاه إليه: المصطلح ما زال ضبابيًّا، والتخوف من المستقبل ما زال قائمًا، والاتهامات الموجّهة إليه في الاقتراب من اللعبة ما زالت تطفو على السطح. والأكثر أهمية، أن الإحصائية التي أجرتها كارين جوتفرايد Karen Gottfried مديرة الأبحاث في شركة Ipsos Public Affairs في 2012 لصالح "رويترز"، تُظهر أن أكثر من نصف مستخدمي الإنترنت في العالم، يستخدمون الشبكة العنكبوتية للبحث عن معلومات عن وسائل التسلية، والهوايات، والموسيقى، والأفلام. وأعتقد أن هذه الإحصائية تشير، بصورة ما، إلى أن الفرصة سانحة للأدباء العرب لتقديم الأدب بطريقة مختلفة، تُستثمر فيه الوسائط التقنية الفعَّالة كالموسيقى والفيديو، إضافة إلى الأصل الذي يعطي للعمل مسمى "الأدب"، وهو الكلمة، من جهة ثالثة(22).

11.النص المتشعب و اللعب بالنص:

تكون بداية اللعب بالنص في الأدب البصري بما يكتبه أو يطلبه المبدع نفسه؛ فالكاتب مارك سابورتا Marc Saporta، على سبيل المثال، قد طلب في منتصف الستينيات من القرن العشرين من القراء خلط صفحات روايته (Composition No 1) التي تتألف من 150 صفحة خالية من الترقيم، كما يحدث في أوراق اللعب، وجرى التنبيه على هؤلاء القراء بأن ما سيحصل عليه من ترتيب هو الذي يحدد مصير الشخصيات في الرواية، وكأنه بهذا الفعل، كان يفكر بالطريقة نفسها عند تيد نيلسون Ted Nelson الذي تجلى النص المتشعب Hypertext على يديه في السنة نفسها(23)، واستغل إمكاناته مايكل جويس Michael Joyce في إنتاج أول رواية رقمية (Afternoon, a story). واستطاع الشاعر روبرت كيندال Robert Kendall أن يستغل اللعب في إنتاج قصائده إلى أقصى الدرجات؛ فبالإضافة إلى إستراتيجيات إطلاق الرصاص بوصفه لعبةً، على سبيل المثال، في قصيدة (Clues)، يوظف الموسيقى والجرافيك، ويجعل النقر على (The Game) هو نقطة البدء(24)، مسبوقًا بقوله: "لعب الكلمات. صدع النص. الفوز في اللعبة" (25) ؛ فهو يضع المتلقي في سياق اللعب منذ البداية، ويجعله يلعب في النص للقبض على المعنى، أو بصياغة أخرى: للفوز بهذه اللعبة التي قرر الانخرط فيها.

ونجد عملية الكتابة نفسها، أو النص المعتمد على " النص المتشعب "، هو نتاج لعبة إلكترونية عند محمد اشويكه حيث يقول: "كلما فتحت حاسوبي الصغير، ونقرت على الأزرار، انسابت الكلمات، وتوالدت الفقرات، فتتحول الكتابة إلى لعبة زريَّة، تمامًا كما نتسلى بأية لعبة إلكترونية" (26). ولعل اللعب من أهم طرفين: النص، والمنشئ، دفع إلى اللعب بتلقي النص، بوصف هذا اللعب نمطًا من الحرية، بل دفع أحد المتلقين إلى الخلط مابين اللعبة التفاعلية Interactive game، والقصة التفاعلية Interactive story (27) ، وكأن الخصائص المميزة لهما،

والمصطلحات الدالة عليهما باتت على درجة كبيرة من الضبابية بحيث يصعب التنبؤ بحركة عناصر اللعب في المستقبل.

كان هذا باقتضاب عن تزاوج الأدب مع التكنولوجيا، وما تولد عن ذلك فيما يسمى بـ "الأدب الرقمي التفاعلي"، ومصطلحات ومفاهيم مختلفة متضاربة لا يزال يلفها نوع من الضباب والغموض.

وختاما يجب أن ندرك جيدا أن تدوين الأدب الشفاهي لا يعني أنه تحول إلى أدب كتابي، فالأدب لا يكون كتابيا إلا إذا كانت الكتابة أحد أركانه الفنية الأساسية التي يقوم عليها، وعند التحدث عن الأدب الرقمي فيجب تكرار الحكم نفسه، فنشر الأدب الكتابي إلكترونيا لا يعني أبدا أنه أصبح أدبا رقميا؛ لأن الأدب لا يكون رقميا إلا إذا كانت الرقمية أحد أهم أركانه الفنية.

خاتمة:

في ختام هذه المداخلة، وانطلاقاً من الاستعراض السابق لأبعاد الأدب التفاعلي الرقمي والتحديات التي يفرضها على المشهد الثقافي المعاصر، وبالاستئناس بما ورد في دراسات متخصصة، ككتاب الدكتور الأردني إبراهيم أحمد ملحم "الأدب والتقنية" من ملاحظات دقيقة وتوصيات قيمة، تتجلى لنا حتمية الخروج بمجموعة من النقاط الجوهرية والتوصيات العملية التي نرى ضرورة العمل الجاد على تفعيلها. إن الوضع الراهن للساحة الأدبية العربية، بما يشهده من تحولات متسارعة وتداخل بين الإبداعي والتكنولوجي، يفرض علينا استجابة واعية ومدروسة، لا تكتفي بالتوصيف، بل تتجاوزه إلى الفعل والتأسيس. ومن أبرز هذه التوصيات ما يلي:

- تعزيز التعاون الأكاديمي وتأسيس الدرس النقدي للأدب التفاعلي: يقع على عاتق مؤسساتنا الجامعية والأكاديمية مسؤولية كبرى في تبني هذا المولود الأدبي الجديد. ويتأتى ذلك من خلال التكاتف الفعلي وتبادل الخبرات المتراكمة بين مختلف الجامعات والمراكز البحثية العربية، بهدف وضع الأسس المنهجية لدراسة الأدب التفاعلي وتأصيل نقده. هذا التأسيس لا ينبغي أن ينطلق من منطلقات فوقية تهدف إلى فرض هذا النوع الأدبي، بقدر ما يجب أن يستند إلى قناعة راسخة بأن المتعة الجمالية والفنية يمكن أن تمتزج وتتكامل مع المعرفة العميقة والبحث العلمي الرصين. إن مثل هذا التوجه كفيل بأن يبني أجيالاً جديدة: جيلاً من المتذوقين الواعين القادرين على استيعاب جماليات الإبداع الرقمي وخصوصياته، وجيلاً من المبدعين المتمكنين من أدوات العصر الرقمي والقادرين على تطويعها لإنتاج أعمال أدبية مبتكرة وذات قيمة، وجيلاً من النقاد المتخصصين الذين يمتلكون العدة النظرية والمنهجية الكافية للولوج إلى عوالم هذا الأدب وتحليله وتقويمه بنجاح وموضوعية. إننا بذلك نضمن ألا يظل الزمن يتحرك أمامنا مسرعاً نحو المستقبل دون أن نسهم بفعالية في تشكيل ملامحه الأدبية والثقافية.
- الارتقاء بمستوى الاهتمام بالمصطلح النقدي للأدب التفاعلي: إن أي حقل معرفي جديد لا يمكن أن يستوي على سوقه دون أن يستقر على منظومة مصطلحية دقيقة وواضحة تعبر عن مفاهيمه وأدواته. ولعل من أبرز التحديات التي تواجه الأدب التفاعلي ونقده هو حالة السيولة المصطلحية التي أشرنا إليها سابقاً. لذا، من الضروري إيلاء المصطلح النقدي المتعلق بهذا الحقل عناية فائقة، تماثل على الأقل تلك العناية التي حظي بها المصطلح العلمي في مختلف التخصصات. ويمكن تحقيق ذلك من خلال تكثيف الجهود في عقد المؤتمرات العلمية المتخصصة والندوات الثقافية الجادة التي تجمع الباحثين والنقاد والمبدعين لمناقشة هذه المصطلحات، وتحقيق أكبر قدر من

التوافق حول دلالاتها واستخداماتها، وترجمة ما هو ضروري من المصطلحات الأجنبية مع السعي لإيجاد مقابلات دقيقة في اللغة العربية، وتشجيع الدراسات المعجمية المتخصصة في هذا المجال.

- تأسيس بنية تحتية رقمية للأدب العربي: نحو مكتبة عربية تفاعلية شاملة: لمواكبة العصر الرقمي والاستفادة من إمكانياته الهائلة في حفظ ونشر التراث الأدبي والفكري العربي، نقترح تأسيس مشروع طموح يتمثل في إنشاء مكتبة عربية تفاعلية شاملة. هذه المكتبة لا تقتصر على كونها مستودعاً رقمياً للنصوص، بل ينبغي أن تتضمن مجمل إنتاج الأمة العربية في حقول اللغة والأدب والنقد، سواء كان تراثياً أو حديثاً أو معاصراً. يجب أن تتيح هذه المكتبة للقارئ والباحث إمكانية التصفح السلس للمحتوى بصيغ متعددة، ومنها صيغة PDF وغيرها من الصيغ المتوافقة مع مختلف الأجهزة. والأهم من ذلك، أن تتجاوز وظيفة العرض إلى تحقيق التفاعلية المنشودة، وذلك من خلال تخصيص مساحات واضحة للتعليق النقدي البناء وإبداء الرأي حول المحتوى المقروء، مما يحولها إلى فضاء حواري حي. إضافة إلى ذلك، لا بد من تزويد النصوص بارتباطات تشعبية (Hyperlinks) مدروسة، تربط النص بأصوله، أو بشروحاته، أو بسياقاته التاريخية، أو حتى بالمسار الفكري للمؤلف وتطور أعماله، مما يمكّن القارئ من إدراك التطور الفكري والجمالي للمبدعين. كما ينبغي أن تتضمن ارتباطات أخرى تقود إلى الدراسات والأبحاث ذات الصلة بالموضوع المطروح، مما يسهل على الباحثين الوصول إلى أعمق طبقات المعرفة وآخر مستجداتها. إن مثل هذا المشروع، على ضخامته، يعد ضرورة حضارية وثقافية لضمان حضور الأدب العربي بفعالية في الفضاء الرقمي العالمي.

الهوامش:

(1) إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية، مدخل إلى النقد التفاعلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص13.

(2) نوال خماسي، مفهوم الأدب الرقمي التفاعلي، شبكة النبأ المعلوماتية 2016، https://annabaa.org/arabic/literature/5475

(3) إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية، مدخل إلى النقد التفاعلي، ص25.

(4) المرجع نفسه، ص18، والأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة، مجلة الإمارات الثقافية، ع 25 . 26 ، أبوظبي، سبتمبر 2014. والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم.

(5) صفية علية، آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، دكتوراه علوم في الأدب واللغة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص237.

(6) المرجع نفسه، ص237.

(7) المرجع نفسه، ص238.

(8) سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص129.

(9) سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص131.

(10) لبيبة خمار، دراسة في النص والنص المترابط: من النصية إلى التفاعلية، http://alfawanis.com/alfawanis/index.php?option=com_content&task=view&id=2456&Itemid=2

.

(11) إبراهيم أحمد ملحم، الأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة، مجلة الإمارات الثقافية، ع 25 . 26 ، أبوظبي، سبتمبر 2014، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم، http://iamlhem.blogspot.com/

(12) المرجع نفسه.

(13) سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص129.

(14) فاطمة بريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص53.

(15) إبراهيم أحمد ملحم، الأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم، http://iamlhem.blogspot.com/

(16) المرجع نفسه.

(17) إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية، مدخل إلى النقد التفاعلي ص(25، 26) ، والأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة، مجلة الإمارات الثقافية، ع 25 . 26 ، أبوظبي، سبتمبر 2014. والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم.

(18) المرجع نفسه، ص26.

(19) المرجع نفسه، ص27.

(20) المرجع نفسه.

(21) المرجع نفسه.

(22) المرجع نفسه، ص28.

(23) إبراهيم عمري ، الأدب الرقمي في المغرب: بداية تسلل القارئ إلى كواليس الكتابة، مجلة الملتقى، ع29، مراكش، شتاء 2013، ص108 . 109، ضمن مجلة الإمارات الثقافية، العدد 31، أبوظبي، مارس 2015، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم،/http://iamlhem.blogspot.com

(24) مجلة الإمارات الثقافية، العدد 31، أبوظبي، مارس 2015، ضمن الموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم،/http://iamlhem.blogspot.com

(25) Robert Kendall، Clues، (http://www.wordcircuits.com/clues)، 17 أكتوبر 2014، ضمن مجلة الإمارات الثقافية، العدد 31، أبوظبي، مارس 2015، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم،/http://iamlhem.blogspot.com

(26) أنتج محمد اشويكة مجموعتين قصصيتين تعتمدان على الترابط النصي، هما: محطات، واحتمالات، ضمن مجلة الإمارات الثقافية، العدد 31، أبوظبي، مارس 2015، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم،/http://iamlhem.blogspot.com

(27) عبد الله المهيري ، الأدب التفاعلي في ألعاب الفيديو:
(http://world1-2.net/2013/02/17/interactive-lit-in-videogames)، 20 فبراير 2013، ضمن مجلة الإمارات الثقافية، العدد 31، أبوظبي، مارس 2015، والموقع الشخصي للدكتور إبراهيم أحمد ملحم، http://iamlhem.blogspot.com/.